منظمة الصحة العالمية

المجلس التنفيذي **م ت١٣٠/٢**
الدورة الثلاثون بعد المائة **١٦ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٢**
البند ٢ من جدول الأعمال **EB130/2**

تقرير المدير العام إلى المجلس التنفيذي في دورته الثلاثين بعد المائة

جنيف، الاثنين، ١٦ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٢

السيد الرئيس، أعضاء المجلس التنفيذي الموقرون، أصحاب السعادة، سعادة السفراء، حضرات ممثلي السلك الدبلوماسي، السيدات والسادة،

١- إنّ أمامكم برنامجاً قوياً ومحفوفاً بالتحديات في أوقات بات يمرّ العالم بأسره فيها بظروف سيّئة.

٢- ونظراً لشؤون العالم الراهنة، يمكن للصحة العمومية أن تفتخر بالإنجازات التي تحققت منذ بداية هذا القرن، وتفتخر بقدرتها على تخطيط الأمور على المدى البعيد، وتفتخر باستعدادها لمعالجة مشكلات متزايدة التعقيد.

٣- لقد تمكّنا من الاستمرار في مسيرتنا بخطوات ثابتة ووطيدة.

٤- ويمكن أن تفخر منظمة الصحة العالمية ودولها الأعضاء بوجه خاص على تمكّنها المستمر من بلوغ اتفاق بشأن صكوك عالمية لتصريف الشؤون توفر حماية جماعية ضدّ التهديدات المشتركة؛ مثل التبغ؛ ومثل الفاشيات؛ والأسباب الأخرى للمرض المفاجئ الذي يمكن أن ينتشر على الصعيد الدولي؛ ومثل جوائح الأنفلونزا والحاجة إلى التأهب، مع الحرص على التوزيع المنصف للفوائد.

٥- كما توفر صكوك تصريف الشؤون، التي وُضعت مؤخراً، سُبل تلبية الاحتياجات المشتركة؛ مثل الحاجة إلى إدارة حقوق الملكية الفكرية بطرق عادلة لصالح دوائر الصناعة، ولصالح الصحة العمومية على الأخص؛ ومثل الحاجة إلى اقتفاء أثر المعونة لأغراض التنمية وضمان استعمالها بطرق مسؤولة. وذلك يعني طرقاً تسفر عن نتائج يمكن قياسها، وتسهم أيضاً في بناء القدرات اللازمة لقياس النتائج في المقام الأوّل.

٦- وقد تمكّنتم، منذ بداية هذا القرن، من التوصّل إلى اتفاقات في جميع هذه المجالات الصعبة، وإجراء مفاوضات تعتزم تمهيد الطريق لصحة أفضل، مع السعي إلى ضمان العدالة بوصفها القوة المحفّزة على العمل، ومع ضمان الإنصاف للجميع.

٧- إنّه إنجاز عظيم تحقق في الوقت الذي لا تزال فيه المفاوضات الدولية تتعثّر في الكثير من المجالات الأخرى.

٨- ومن الملاحظ، في أغلب الأحيان، أنّ السياسات التي تُعد حاسمة الأهمية من حيث الفوائد الطويلة الأجل، مثل الحفاظ على الاكتفاء الذاتي في الميدان الزراعي أو عكس اتجاه الاحترار العالمي، بات مآلها الإخفاق إذا ما اعتُبرت من الأخطار التي تهدّد اقتصاداً يعاني من الهشاشة. وذلك لا ينطبق على الصحة العمومية، مثلما تبيّن السجلات بوضوح صارخ منذ بداية هذا القرن. وذلك إذا دلّ فإنما يدلّ على الأولوية الكبيرة التي تُمنح، بحق، للصحة.

٩- وتُعد عزيمة قطاع الصحة العمومية الثابتة على مواصلة المضي قدماً من الأمور التي تثير أكبر الإعجاب نظراً للعقبات المطروحة.

١٠- السيدات والسادة، لا أظنّ أنّ الكثيرين سيخالفونني في أنّ العالم بات في وضع سيّء للغاية.

١١- وقد عاد الاضطراب الذي شهدناه خلال العقد الماضي، عندما تعرّض العالم لأزمات عالمية الواحدة تلو الأخرى، للظهور بصورة أشدّ في عام ٢٠١١. وسُجّلت في ذلك العام ظواهر مناخية شديدة بأعداد غير مسبوقة، وفيضانات، وعواصف ريحية، وعواصف جليدية، وموجات تسونامي وحادثة نووية مرتبطة به، وجوع ومجاعة في القرن الأفريقي، وأزمات إنسانية أسهمت في تفاقمها النزاعات ومشكلات الأمن العويصة. لقد كان ذلك العام عام التقشّف المالي، والبطالة المتزايدة، والمعاناة الاقتصادية، خصوصاً بالنسبة للطبقات الوسطى، أي بالنسبة لعامة الناس. وكان أيضاً عام الاحتجاجات والانتفاضات غير المسبوقة التي انتشرت في كل مكان تقريباً مثل ضباب كثيف من التوتر الاجتماعي.

١٢- وفي الواقع، أن التاريخ قد يسجل عام ٢٠١١ على أنه المرحلة التي التفت فيها الساسة والاقتصاديون ووسائل الإعلام إلى مسألة الإجحاف بوصفها تهديداً لاستقرار المجتمعات وأمن العالم.

١٣- وما كانت الاحتجاجات التي أطاحت بعروش بعض الحكومات إلا مساعي لتحقيق إصلاحات ديمقراطية واقتصادية، فقد سعى المحتجون إلى التمتع بحقوق الإنسان الأساسية والعيش بكرامة والحصول على فرص عمل بأجور تمكنهم من تأمين معايشهم. وفسّر العديد من المحللين هذه الانتفاضات على أنها من مظاهر الاحتجاج ضد الإجحاف، وخاصة التفاوت في مستويات الدخل والفرص المتاحة، ولاسيما أمام الشباب، وهو أمر يمكن تفهمه. وقد نما الناتج المحلي الإجمالي في بعض هذه البلدان نمواً مطرداً عاماً بعد عام، في حين هبط مستوى معيشة عدد متنامي من السكان دون خط الفقر سنة تلو الأخرى.

١٤- وشهد العام الماضي أيضا إحصائية جديدة تفيد بأن الفرق في نوعية الحياة بين الجيل القديم وشباب اليوم في بعض البلدان الغنية هو الأعظم الذي سُجِّل من أي وقت من الأوقات.

١٥- وقد كان العام المنصرم عاماً أدركت فيه عدّة بلدان أنها خسرت طبقاتها المتوسطة التي تشكّل الأساس الرئيسي لإقامة الديمقراطية وتحقيق الإنتاجية الاقتصادية.

١٦- وذكر تقرير صدر في الآونة الأخيرة عن منظمة التعاون والتنمية في الميدان الاقتصادي أن تفاوت الدخل في البلدان الغنية شهد أسوأ مستوياته منذ ما يقرب من ٢٥ عاماً. كما خلص ذلك التقرير إلى أن المجتمعات ذات أدنى درجات التفاوت تحقق أفضل الحصائل الصحية، بصرف النظر عن مستويات الإنفاق على قطاع الصحة فيها.

١٧- وبعبارة أخرى، فإن المال وحده لا يحقق مستوى صحياً أفضل، فالسياسات الجيدة التي تعزز المساواة تتيح فرصة أفضل في هذا المضمار، وهو أمر معروف في مجال الصحة العمومية منذ زمن طويل. ومن المغري أن يشعر المرء بأنه كان على صواب إزاء هذا الاهتمام الرفيع الشديد الذي أُولي فجأة لموضوع التفاوت الاجتماعي بوصفه قوة مدمّرة بما فيه الكفاية لزعزعة الأمن والإطاحة بعروش الحكومات.

١٨- فلطالما كانت المنظمة والدول الأعضاء فيها تشعر بالقلق إزاء تحقيق الإنصاف، والمساواة، والعدالة الاجتماعية، والتفاعل بين الظروف الاجتماعية والحصائل الصحية.

١٩- وقد ثبت صحة هذا الأمر منذ إعلان ألما-آتا في عام ١٩٧٨ على أقل تقدير. ودفعنا في الآونة الأخيرة بأن النظم الصحية هي عبارة عن مؤسسات اجتماعية، فإذا صحّت إدارة هذه النظم وموِّلت بالقدر الكافي، فإنها تسهم في تحقيق تماسك المجتمع وتأمين استقراره.

٢٠- واسمحوا لي أن أذكركم بأن التغطية الصحية الشاملة من العوامل القوية لتحقيق المساواة، فالتغييرات في وضع الأفراد الصحي مؤشر قوي على رفاههم الكلّي اجتماعياً واقتصادياً.

٢١- وفي مطلع هذا القرن، نفخ إعلان ألفية وأهدافه الإنمائية روحاً جديدة في قيم الإنصاف والعدالة الاجتماعية، حيث أرسى ذلك الإعلان عقداً اجتماعياً مباشراً للحد من معاناة البشر وتحقيق قدر أكبر من التوازن في عالمنا الذي يعاني اختلالاً في توازنه.

٢٢- ومثلما ذُكِر "فمن يعاني أو يجني أقل الفوائد هو من يستحق المساعدة ممّن يجني أكثرها." غير أن ذلك لم يتحقق على الإطلاق، وخصوصاً في البلدان الميسورة الحال. وثمة تقارير عديدة توثّق تزايداً فعلياً في مستويات الإجحاف الاجتماعي في بلدان غنية.

٢٣- وعلى العكس تبدو الصورة مختلفة تماماً في أجزاء كبيرة من العالم النامي. ففي هذه البلدان توجد تفاوتات كبيرة أيضاً، تتمثل في اختلافات كبيرة في الوضع الصحي للأفراد وفرص حصولهم على الرعاية.

٢٤- على أن البؤس الذي تسببه أمراض كثيرة للعديد من الجماعات آخذ في التراجع بالفعل، فالفئات التي تجني أقل الفوائد تحصل على مساعدة تلك التي تجني أكثرها، وهو إنجاز يمكن أن تفتخر به الصحة العمومية. فقد كنا في المقدمة، ووضعنا السياسات وحدّدنا الأولويات كما ينبغي، فسعينا المتواصل منذ أمد بعيد إلى تحقيق المساواة والعدالة الاجتماعية يثمر عن نتائج قابلة للقياس.

٢٥- سيداتي وسادتي، أرى أن جدول أعمال هذه الدورة يعزّز شعورنا بالفخر بما تحقق من إنجازات ويبعث على تفاؤل مبرر بالمستقبل ، بعد أن بلورنا فهما أفضل لماهية التدابير الناجحة في مجال الصحة العمومية، واتبعنا سبلاً كفيلة بإحراز النصر برغم ما نواجهه من صعاب.

٢٦- وقد كان عام ٢٠١١ بالنسبة إلى الصحة العمومية عام تقارب جُمِعت فيه الدروس المستخلصة وصُنِّفت فيه القوى من جديد للتصدي للتحديات الجديدة. كما كان عاماً عُقِدت فيه اجتماعات رفيعة المستوى بشأن التحديات الصحية، واتُّبعت فيه سبل كفيلة بمعالجة الأسباب الجذرية لتلك التحديات، والتي سنسترشد بها فيما ننجزه من أعمال لعدة سنوات قادمة.

٢٧- وعند النظر في البنود الفنية المدرجة على جدول أعمالكم، أرى أنه بمقدورنا أن ندلي بأربع ملاحظات عامة حول أحدث ما تحقق في مجال الصحة العمومية.

٢٨- والأهداف (المرامي) الإنمائية للألفية مدرجة على جدول أعمالكم، وكذلك تغذية الأمهات والرضع وصغار الأطفال؛ والعواقب المترتبة على الزواج المبكر وحمل المراهقات؛ وخطة عمل عالمية بشأن اللقاحات؛ والقضاء على البلهارسيا؛ واستئصال شلل الأطفال، وهي بنود تؤيد أول ملاحظة أدليت بها. حيث نرى كيف أدى الالتزام بتحقيق عدد محدود من الأهداف المحددة الإطار الزمني إلى تحسين الحصائل الصحية بطرائق قابلة للقياس وهامة في كثير من الأحيان.

٢٩- ونرى أيضا كيف خلّف هذا الالتزام تركة جبارة من الابتكارات؛ من قبيل أدوات التمويل وسبل تأمين الأموال اللازمة من مصادر جديدة وإقامة نوع جديد من الشراكات الاستراتيجية في مجال البحث والتطوير التي تطرح في الأسواق منتجات مبتكرة مصممة خصيصاً لمعالجة الأمراض التي تصيب الفقراء.

٣٠- وبلغت أوبئة الأيدز والعدوى بفيروسه والسل ذروتها في العقد الأول من هذا القرن وبدأت تسجل انخفاضاً بطيئاً. وتحسنت أوضاع الملاريا المتدهورة.

٣١- وانخفض عدد وفيات صغار الأطفال دون ١٠ ملايين طفل للمرة الأولى خلال قرابة ستة عقود. فقد بلغ عدد وفيات الأطفال دون الخامسة من العمر ٧,٦ ملايين طفل خلال عام ٢٠١٠ مما يمثل انخفاضاً بنسبة تزيد على ٤٠٪ مقارنة بالعدد المسجل في عام ١٩٩٠ والبالغ ١٢ مليون طفل. ويجري تخفيض عدد وفيات الأطفال دون الخامسة من العمر حالياً بضعف المعدل المسجل بين عامي ١٩٩٠ و٢٠٠٠ ولا يزال هذا الاتجاه يتسارع في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى.

٣٢- وبدأ عدد وفيات الأمهات الذي يمثل أقسى الإحصاءات في مجال الصحة العمومية في الانخفاض أخيراً في جميع أنحاء العالم.

٣٣- واستفاد ٨٠٠ مليون شخص حسب التقديرات من العلاج الكيميائي الوقائي لأحد الأمراض المدارية المهملة على الأقل خلال سنة ٢٠٠٩ فقط. ويمكن بالفعل القضاء على بعض هذه الأمراض القديمة المرافقة للفقر في المستقبل القريب كما سيجري بحثه خلال هذه الدورة.

٣٤- ويندرج استئصال شلل الأطفال أيضاً في جدول أعمالكم. وتقول لنا أجهزة مرجعية مثل المجلس المستقل للرصد وفريق الخبراء الاستشاري الاستراتيجي المعني بالتمنيع إنه يجب علينا المثابرة. وفي حال التردد في الالتزام فسوف يعود شلل الأطفال عودة قوية. وإذا ترددنا في عزمنا فسوف يدفع مجال الصحة العمومية نتيجة لهذا الفشل أبهظ ثمن يشهده تاريخه. وستنظرون في مشروع قرار يقترح إعلان استكمال عملية استئصال شلل الأطفال "كحالة طوارئ برمجية في مجال الصحة العمومية العالمية". وأحثكم على بحث هذا القرار بأقصى درجة من الإلحاح.

٣٥- وتنفيذ اللوائح الصحية الدولية (٢٠٠٥) مسألة مدرجة في جدول أعمالكم وكذلك إطار التأهب للأنفلونزا الجائحة واللجنة المعنية بالمعلومات والمساءلة عن صحة المرأة والطفل.

٣٦- وتدعم هذه البنود ملاحظتي الثانية إذ نشهد نجاح منظمة الصحة العالمية ودولها الأعضاء في وضع صكوك جديدة وتنفيذها لتصريف الشؤون الصحية العالمية.

٣٧- ودعوني أعلق على بندين اثنين. فالمفاوضات التي تُوجت بوضع إطار التأهب للأنفلونزا الجائحة كانت أصعب المفاوضات وأكثرها احتداماً شهدتها أبداً خلال ٣٥ سنة من الخبرة في مجال الصحة العمومية. لكن روح التوافق والنزاهة انتصرت في نهاية المطاف وأنصفنا الجميع، بما في ذلك دوائر صناعة

المستحضرات الصيدلانية. وإن نم ذلك عن شيء فإنما ينم عن رغبة البلدان الحقيقة في إدارة المخاطر على نحو استباقي. فهي تريد إرساء قواعد لحسن السلوك تُسند فيها المسؤوليات بوضوح، وتريد تحقيق العدل.

٣٨- ويعد إطار المعلومات والمساءلة حلقة في سلسلة من الآليات والأدوات المبتكرة المرتبطة بالاستراتيجية العالمية لصحة المرأة والطفل.

٣٩- وتستند توصيات اللجنة الدقيقة والذكية والبسيطة إلى خطة عمل مفصلة لترجمة هذه التوصيات إلى أعمال. وتيسر هذه الخطة كثيراً العمل السريع، وخصوصاً من أجل تطوير نُظم للأحوال المدنية، وذلك عن طريق تحديد ما يتوفر من أدوات وأساليب ومبادئ توجيهية وأفضل الممارسات التي يمكن أن تستخدم فوراً أو تعدل بسهولة لسد الثغرات.

٤٠- وأسندت أعمال الرقابة، التي تتضمن تحديد النُهج التي تؤدي إلى تحقيق أفضل القيم بأقل التكاليف، إلى فريق خبراء مستقل معني بالاستعراض. وقد تألف هذا الفريق في شهر أيلول/ سبتمبر من العام الماضي وعقد اجتماعه الأول بعد ذلك بشهرين.

٤١- وبإحراز هذه التطورات حققت الصحة العمومية إنجازات جديدة بتلبية احتياج طالما كان موجوداً وهو بناء القدرات الوطنية على استحداث البيانات الأساسية عن الصحة وتحليلها.

٤٢- وفي غياب المعلومات على المستوى القطري لن تقوم قائمة للمساءلة أبداً. وفي غياب المعلومات لن نعرف أبداً ما الذي يعنيه بالفعل "أفضل" استثمار أو الاستثمار "بحكمة". وفي غياب المعلومات سنسير في ظلمة نتحسس طريقنا ملقين بالأموال في بئر لا غيابة له. وهذا غير مقبول على الإطلاق في وقت أصبحت فيه لكل دولار قيمة ويجب فيه مساءلة الجهات المانحة والجهات المتلقية على حد سواء.

٤٣- السيدات والسادة ستُعرض عليكم نتائج اجتماعين رفيعي المستوى عُقدا العام الماضي وهما اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة المعني بالوقاية من الأمراض غير السارية ومكافحتها الذي عُقد في نيويورك في شهر أيلول/ سبتمبر، والمؤتمر العالمي المعني بالمحددات الاجتماعية للصحة الذي عقد في ريو دي جانيرو في شهر تشرين الأول/ أكتوبر.

٤٤- وتؤيد التقارير الصادرة عن هذين الاجتماعين اللذين حققا نجاحاً باهراً ملاحظتي الثالثة، إذ يتعين على الصحة العمومية أن تتصدى إلى تحديات جديدة وملحة، تتجاوز الأهداف الإنمائية للألفية، مثل الأمراض غير السارية المزمنة. وعلينا القيام بذلك بتناول أسبابها الأصلية، وتحديداً باتباع نهج يقوم على المحددات الاجتماعية تشارك فيه الحكومة برمتها والمجتمع كله.

٤٥- ولقد اتجه منحى الصحة العمومية لفترة طويلة صوب الوقاية من الأمراض المعدية ومكافحتها، وعلى التصدي لنوبات من العلل الحادة وليس صوب رعاية المرضى على المدى الطويل أو الوقاية من هذه العلل ما يستلزم بذل جهود تفوق الجهود التي يبذلها قطاع الصحة.

٤٦- وهذا المنحى يجب أن يتغير لكن تغييره لن يكون بالأمر الهين.

٤٧- يأتي تأثير الأمراض غير السارية على هيئة موجات. وما نراه الآن في معظم البلدان النامية ما هو سوى الموجة الأولى. وهي تتسم بتزايد أعداد المصابين بارتفاع ضغط الدم، وارتفاع نسبة الكولسترول، والمراحل الأولى من مرض السكري.

٤٨- ويُنذر الانتشار المتزايد للسمنة وفرط الوزن الذي نشهده في كل مكان، بأن هناك مشكلات جسيمة في طريقها إلينا.

٤٩- أما الموجة الثانية التي ستلحق بالأولى، فستكون أشد ضراوة. وتكشف إحدى الإحصائيات عن حقيقة الأمر. فمن بين المصابين بمرض السكري والمُقدَّر عددهم بنحو ٣٤٦ مليون شخص في العالم، يجهل أكثر من النصف حقيقة مرضهم. ولن يتصل العديد منهم بالخدمات الصحية للمرة الأولى إلا على إثر بدء إصابتهم بالعمى، أو اضطرارهم إلى بتر أحد الأعضاء، أو إصابتهم بأزمة قلبية.

٥٠- وقد أسند الإعلان السياسي بشأن الأمراض غير السارية الصادر في أيلول/ سبتمبر عدداً من الأدوار والمسؤوليات إلى منظمة الصحة العالمية. وأستطيع أن أؤكد لكم أننا نعطي لهذه الالتزامات الأولوية القصوى.

٥١- وملاحظتي الأخيرة فيما يتعلق بذلك، هي أن إصلاح المنظمة مدرج في جدول أعمالنا، وليس ثمة من يشكك في ضرورة تغيير الطريقة التي تعمل بها المنظمة.

٥٢- فقد أصبحت التحديات التي تواجه الصحة العمومية، والسياق العالمي الأوسع الذي يدور فيه صراعنا، أكثر عدداً وأكثر تعقيداً من أن يتمَّ تناولها من خلال أسلوب العمل المعتاد.

٥٣- وأشكركم جميعاً على مشاركتكم التي اتسمت في معظم الأحيان بالحماسة، في الدورة الاستثنائية للمجلس التنفيذي في تشرين الثاني/ نوفمبر، التي تناولت إصلاح المنظمة.

٥٤- ولطالما رددت أن ما يتمُّ قياسه يتمُّ تنفيذه. فأثناء الدورة الاستثنائية اجتهد المجلس في قياس الأمور الصحيحة لضمان أن الأمور الصحيحة هي التي ستنفذ.

٥٥- وأنا الآن أعتمد على توجيهكم وتوجيه الدول الأعضاء أثناء دورة جمعية الصحة التي ستنعقد في أيار/ مايو، حيث سنسعى معاً لإعداد المنظمة لمواجهة التحديات التي ذكرتُها والعديد من التحديات الأخرى المعروفة لنا وغير المعروفة.

٥٦- ولقد وافقتم معي على ضرورة إجراء التغيير على تصريف الشؤون والإدارة، وكذلك على البرامج وطريقة تحديد الأولويات.

٥٧- وأنا أطالبكم بالتفكير حول الإصلاح عند النظر في عناصر جدول الأعمال الأخرى، لاسيما فيما يتعلق باستجابة المنظمة للطلب المتزايد على الخدمات الصحية في حالات الطوارئ الإنسانية. فهو أسلوب جيد لرؤية المشكلات العملية التي تواجه المنظمة، وعلى أي نحو يمكن للإصلاحات المحددة أن تساعد على حلها.

٥٨- وتعليقي الأخير مختصر. فكما جاء في تصريحكم، ينطلق إصلاح المنظمة من نقاط قوة متعددة. وأنا أتفق معكم تماما: فهي ليست نقاط قوة لمنظمة الصحة العالمية فحسب، بل للصحة العمومية كذلك.

شكراً لكم.

= = =